إرتريا: أرض البحر

ألجزء ألثاني: ألغضب العارم

بقلم الكاتب: الامين محمد سعيد

تقديم: الدكتور احمد حسن دحلي

إن مؤلف هذا الكتاب هو الأخ الأمين محمد سعيد ذات الشخصية المتعددة الأبعاد، ولذا فمن الصعوبة بمكان اختزالها في عدة كلمات معدودة في هذا المقام والمقال. فهو مناضل كبير، وسياسي مخضرم، ودبيلوماسي محنك، ومفاوض متمرس، وكاتب مبدع، وقبل هذا وذاك فهو إنسان في غاية البساطة والتواضع والتفاني والصمود والحزم في القضايا التي آمن ويؤمن بها وذلك على مدى ما يربوا على أربعة عقود من تاريخ التحاقه بالثورة الإرترية منذ عام 1966م ولغاية هذه الساعة. ومازال يواصل مسيرته الطويلة والشائكة والثرية والنابضة بالتضحيات والنضالات والإبداعات في سبيل حرية واستقلال ونمو ورقي ورفعة إرتريا شعبا وبلدا.

والى ذلك، يجدر التنويه إلى ان كتابات وإبداعات الأخ الأمين تنهمر في جدول الإنتاج التاريخي والسياسي والأدبي الإرتري باستمرار وحيوية وغزارة وعمق. فالكاتب اثرى المكتبة الوطنية بكتاب وثائقي تاريخي يحمل عنوان "**الدفع والتردي**"، سلط أضواء ساطعة على الثورة الإرترية وتناقضاتها الداخلية، ومنعطفاتها الحرجة، وتضاريسها المعقدة والمتشعبة. وان ذلك الكتاب الذي صدر في سبتمبر عام 1992م باسمرا أقام الدنيا ولم يقعدها بعد، لكونه تطرق بجسارة ورشاقة لتلك المرحلة الحرجة وبالغة الدقة والحساسية من تاريخ إرتريا الثورة الذي يعتبر بمثابة معين لا ينضب، وعليه فلا غرو إذا كان معشر المثقفين والمؤرخين والسياسيين الإرتريين لهم أراء متباينة حتى التناقض في فهم وقراءة وتحليل بعض الأحداث التاريخية التي عالجها الأخ الأمين، وهذه حسنة تحسب للكاتب والكتاب على حد السواء، لأنها حركت بل أججت مياه بركة راكدة حتى التفسخ، وبعثت فيها دفء وتدفق الحياة بتعرجاتها وتضاداتها وتناقضاتها الصحية والطبيعية.

وإذا كان الكاتب الأمين نهض بدور باحث تاريخي في باكورة إنتاجه التاريخي- السياسي الذي وثق وحلل فيه تناقضات الثورة الإرترية، فانه وبعد تسع سنوات، وتحديدا في عام 2001م صدر كتابه الثاني " **نريد ارض إرتريا وليس شعبها** " إرتريا والسلوك العدواني لحكام أثيوبيا –" عن دار "**البحر الأحمر**" بالولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا الكتاب قام الباحث بتحليل عميق ورصين لخلفية الحرب الحدودية الإرترية – الأثيوبية وتداعياتها، كاشفا أسرارها الخفية والمتمثلة في أجندة نظام وياني أثيوبيا الويانوي التوسعية والتخريبية، والتي كانت وراء إشعال حرب مدمرة بين البلدين من عام 1998م الى عام 2000م.

وبعد مضي عام واحد فقط من صدور كتابه الثاني، صدر في مايو عام 2002م عن دار "**الأمانة**" بأسمر كتابه الثالث "**حق لا يقبل المساومة**"، والذي وظف له المؤلف كل إمكانياته ومؤهلاته في رصد الأحداث الكبيرة والدقيقة في تسجيل وسرد

وتحليل الوقائع التاريخية المتعلقة بعملية المفاوضات بين الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا ونظام الدرق الأثيوبي البائد، وذلك بوضوح بالغ، وبموضوعية تامة، وبسلاسة فائقة.

والآن، ها هو الكاتب الأمين محمد سعيد لا يطرق هذه المرة بابا جديدا وحسب، وانما ينهض بمشروع عمل إبداعي ضخم عنوانه الرئيسي " **اريتريا أرض البحر** "يغطي مساحة تاريخية طويلة وغائرة تبدأ منذ نهاية القرن التاسع عشر وتنتهي في مطلع القرن الحادي والعشرين. ويقع هذا الإنتاج الجديد في سلسلة من الأجزاء يبدأ بالجزء الأول المعنون باسم "**الأطماع**".

وخلال هذا الجزء "**الأطماع**" تم استعراض الحياة التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الإرترية لمرحلة ما قبل مجيء وبعد دخول المستعمر الإيطالي، بأسلوب أدبي مباشر وسهل وسلس ورشيق وجذاب للغاية، عبر شخصيات فنية تقوم بأدوار مختلفة في إطار العمل الأدبي والمهمات المناطة إليها. علما إن هناك مسحة خفيفة وخفية من السيرة الذاتية تضفي نكهة خاصة على هذا العمل الأدبي. ولقد حرص الكاتب على ان تكون تلك اللمسة الذاتية بين السطور وان لا تطفو على السطح إلا في بعض المواقف النادرة وبصورة غير مباشرة أيضا، بحث إنها ربما قد تشد انتباه هذا الباحث وستوقفه لكي يستنطقها، وربما يمر عليها مرور الكرام ذاك القارئ من دون شعور أو إحساس أو إدراك.

فعلى عكس المرات السابقة، فان الكاتب لجأ هذه المرة إلى الأسلوب الأدبي ليس لسرد الوقائع المتعددة الأبعاد والمتنوعة الأشكال، وانما لرواية الأحداث على لسان أهل البلد أنفسهم من دون إسقاطات خارجية، وعبر إفساح الحرية للشخصيات التي نسجها الكاتب لكي تعبر عن نفسها، وتنيط اللثام عن أغور أغوار مشاعرها الداخلية وأحاسيسها الدفينة، وتتحدث عن عاداتها وتقاليدها من دون رتوش وبلا حرج، وتعكس ظروفها الاقتصادية وأوضاعها الاجتماعية. وقبل هذا وذاك، فان

تلكم الشخصيات المحورية مسكونة بالهاجس الوطني، لا لشئ آخر، وانما لكونها وليدة الأحداث التي زجت بها ومنذ نعومة أظافرها في خضم ومعمعة الغليان السياسي الذي اكتوت إرتريا بنيرانه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ما بين الحربين العالميتين.

ولقد وفق الراوي في رواية الأحداث في هذا الجزء الأول عبر شخصياته من دون اي تدخل سافر من طرفه لتوجيه دفة الأمور برغم حضوره، بحيث لا يشعر القارئ بان شخصيات العمل الأدبي مسلوبة الإرادة ومجردة من الحرية، بالعكس فانها تتحرك باستقلالية، وتتحدث بطلاقة، وتفكر بحرية، وهنا تكمن الصعوبة كل الصعوبة في العمل الروائي أو في القصة.

صحيح نحن هنا لسنا أمام عمل أدبي من نسيج الخيال الخالص، بحيث نتوقع انفلات الشخصيات التام من رقابة الكاتب أو الروائي أو القاص سواء بصورة تدريجية، أو عبر ثورة عارمة، أو بطريقة عفوية، أو من باب الصدفة، أو من خلال انغماس وغرق وذوبان الراوي المطلق في المروي لدرجة التفاني والتلاشي، ولكن نحن هنا أمام عمل تاريخي وسياسي واقتصادي وثقافي مسرود في قالب أدبي، لا يستخلص من ذلك بأننا أمام إنتاج لا يلجأ أو يستخدم الخيال، بل كل ما في الأمر إن الخيال هنا وسيلة وليس غاية. وعليه فلا غرابة إذا ما تم توظيفه لأداء مهمة محددة للغاية، ألا وهي خدمة العمل الأدبي بكل أبعاده.

اعتمد الكاتب على عدة شخصيات لبلورة القضايا التي تناولها، فيعتبر إدريس محمد صالح جابر شخصيته المحورية، ويحرص على أن نتعرف عليه ويعرفنا من خلاله بصورة فنية وغير مباشرة عن الوضع العام في إرتريا بقوله "لم يكن إدريس الابن البكر للشيخ محمد صالح يفقه ما يرويه والده من سياسة مصادرة الأرض ... التوطين ... والإيطاليين نظرا لصغر سنه، إذ لم يكن قد بلغ الثانية عشر من عمره، وقصر مداركه. وكل همه كان منصبا في كيفية إجادة لعبة "البيب" و

"القرشبع" ... بهدف التفوق على اقرانه، والتباهي أمام والده وأعمامه. إلا إن إدريس ومن ناحية ثانية كانت تستهويه الحكايات الشعبية التي كانت ترويها له جدته حليمة، مثل حكاية "الراعي والغنم والذئب" وحكاية "سهيل الذي كان يبحث عن خطيبته التي اختطفها عملاء الرقيق". وكان شديد الإعجاب بجسارة "سهيل" في مقاومة الأشرار.

وهكذا يأخذ الكاتب بتلابيب يدنا لكي نتوقف ونرصد حقيقة وطبيعة شخصيته المحورية التي تتحلى بالواقعية، وتكاد سماتها الأساسية تنسحب على كل أطفال إرتريا عامة، وتنطبق على وجه الدقة على أطفال مدينة مصوع والقرى المحيطة بها، ويعزي ذلك لكون إدريس محمد صالح هو أحد أبناء قرية حليب الخيالية الواقعة على بعد بضعة كيلومترات من ميناء مصوع. ومع نمو وتبلور شخصية إدريس وصديقيه اسماعيل عمريت وحقوص ارعدوم تنمو وتتبلور الأحداث السياسية الكبيرة التي عصفت بإرتريا، ونقصد بها قدوم المستعمر الإيطالي الى إرتريا في نهاية القرن التاسع عشر، والحقبة الفاشية من العهد الاستعماري الإيطالي، ودخول إرتريا تحت الانتداب البريطاني بعد نهاية الحرب الكونية الثانية، ونسج خيوط المؤامرة الفيدرالية بين إرتريا وأثيوبيا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وتفارخ الأحزاب السياسية الإرترية وادارة صراعاتها الداخلية من قبل القوى الدولية، لمحاصرة وخنق وإجهاض المشروع الوطني الإرتري، وفشل القوى الوطنية الإرترية في تعرية وإحباط المخططات الدولية والإقليمية من ناحية، وعدم قدرتها على لملمة القوى الوطنية الإرترية وتوحيد شمل الصف الوطني الإرتري بصهره في بوتقة مشروع وطني واحد، بغية العبور بسفينة الوطن، في وسط كل تلك الأمواج المتلاطمة، الى بر الأمان.

ففي ظل هذه الظروف وتلك المعطيات لا عجب إذا ما خلت الساحة الإرترية للسلطات الأثيوبية من أي حسيب ورقيب من قبل أي طرف من الأطراف الدولية

والتي كان بالأساس من العبث الرهان عليها وعلى دورها في هذا الصدد بأي حال من الأحوال، بحكم إنها عمليا هي التي حاكت المؤامرة السياسية القاضية بمصادرة حق الشعب الإرتري الشرعي والمشروع في تقرير المصير، على غرار بقية المستعمرات الإيطالية في القارة السمراء، أي ليبيا والصومال. فغدت أثيوبيا الإمبراطورية رويدا رويدا تتمادى في انتهاك بنود ونصوص الإتحاد الفيدرالي، وتزامن ذلك مع تخييم شبح عدم الاطمئنان والاستقرار، بعد ما بث رجال الأمن الأثيوبيين وعملائهم الخوف والقلق والهلع في شتى أرجاء البلاد، وأضحوا يزجون بعشوائية في غياهب السجون المكفهرة والكئيبة كل مواطن إرتري لا لجريمة اقترفها، وانما لمجرد الشك في كونه عنصرا وطنيا، ثم الشروع في ممارسة ابشع وافظع أشكال التعذيب البدني والنفسي ضده. ففي ظل سيادة هذه الأجواء السياسية المأزومة والمتأزمة، لا غرابة إذا ما سقط إدريس وحقوص واسماعيل في حبائل عناصر الأمن الأثيوبية التي كانت تتعقب تحركاتهم وترصد سكناتهم وتتابع نشاطاتهم الوطنية المناهضة لربط إرتريا بسلسلة الفيدرالية مع أثيوبيا، فما بالك إذا كان الأمر يتعلق بإذابة الهوية الإرترية في الكيان الإثيوبي.

وهكذا ذاق الأصدقاء الثلاثة وعلى مدار سبعة اشهر كاملة الأمرين في سجون أثيوبيا التي بارحوها ذات يوم من أيام شهر يوليو عام 1956م ليعانقوا شعاع شمس الحرية المقيدة، وليلاحظوا بان الحياة الاقتصادية ازدادت ترديا وتدهورا بحيث أمست لا تطاق، هذا علاوة على إدراكهم بأنهم ومنذ فجر خروجهم من السجن يوجدون تحت قيد المراقبة الدائمة المرهقة عصبيا والمنهكة نفسيا.

جملة هذه الظروف السياسية والإقتصادية جعلت إدريس وحقوص واسماعيل في التفكير في هجرة الوطن الى السودان بغية توفير لقمة عيش شريفة وآمنة من ناحية، ولكي يواصلوا نضالهم السياسي ضد أثيوبيا من ناحية أخرى. وهكذا اختلق إدريس حيلة الذهاب إلى مدينة كرن للمشاركة في عرس أحد أقربائه، ولم يمكث

فيها إلا سويعات معدودة وذلك حتى لا يكشف أمره، فغادرها على وجه السرعة قاصدا مدينة اغوردات، قبل أن يستقر به المقام بمدينة كسلا السودانية بعد رحلة ماراتونية مشوبة بمشاعر الخوف والقلق من جانب، ومحفوفة بتباشير أمل كبير في بداية حياة جديدة وطرق أبواب مواصلة النضال بأسلوب مختلف من جانب آخر.

ولم يبق إلا التنويه إلى أن الأخ الأمين محمد سعيد لم يعتمد في عمله الأدبي الجديد على شخصية واحدة تروي الأحداث الكبيرة منها والصغيرة كما هو الحال في بعض الروايات الأحادية البعد والأفق، وانما وعلى عكس ذلك خلق سيمفونية رائعة وخلابة بين الشخصية المحورية، إدريس محمد صالح، والشخصيتين الأساسيتين في حقوص ارعدوم واسماعيل عمريت، وشخصيات عامة وأخرى عرضية مثل الشيخ محمد صالح جابر وزوجته ملوك عبدالقادر وترحس وفاطمة ولؤول ونجاش... الخ، وكل تلكم الشخصيات تملك مبرر وجودها في سياق مجريات تطورات الأحداث التي تسلط عليها الأضواء الساطعة في معظم الأحيان، وتلقي عليها بظلالها المواربة في بعض الحالات.

والمهم في الأمر، ان هذه الشخصيات تكشف بدورها ليس عما يختلج في صدرها، أو ما يدور في ذهنها، أو ما يتفاعل في نفسها فقط، بقدر ما تم أيضا توظيفها من قبل الكاتب في سبر أغوار العادات والتقاليد الإرترية انطلاقا من مجريات الأمور اليومية العادية في أسرة إدريس في السهول الشرقية وترحس في المرتفعات الوسطى، ومراسيم الزواج التي أبدع الكاتب في رصدها بصورة ممتعة ومبدعة وغاية في الدقة، وتوغل وتغلغل في جزئيات تفاصيلها الدقيقة إلى ابعد الحدود، بما يوحي برسم صورة حية وناطقة عن سريان وتدفق المشاهد وانسيابها بسلاسة وتألق وإحكام.

وفي هذا الجزء الثاني من العمل الأدبي للكاتب الأمين محمد سعيد، أي " **اريتريا أرض البحر** " والذي يحمل عنوان " **الغضب العارم** " يتوقف فيه على خمس محطات تاريخية ألا وهي: " **الصحوة، وأهمية تبني خيار الكفاح المسلح، ولعلعة رصاصات البدء، وبداية العنف الذاتي، والانطلاقة العرجاء** " . ويتناول الكاتب الأحداث السياسية الإرترية وفق تسلسلها التاريخي مع إضفاء أبعاد اجتماعية وثقافية واقتصادية ونفسية عليها عبر الحياة اليومية للشخصيات التي توجد في قلب الأحداث تأثرا وتأثيرا أيضا، وهذا مما يثري الكتاب على غرار ما نهجه الكاتب في الجزء الأول. **والغضب العارم** للشعب الإرتري بكل معطياته واشكالياته لا يعدو أن يكون نتيجة طبيعية ومنطقية وتاريخية ترتبت على أطماع أباطرة أثيوبيا وحلفائها من ناحية، وتعكس من ناحية أخرى واقع إريتريا التاريخي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي بموضوعية وبلا رتوش أو ماكياج.

وريدا رويدا يتغلغل إدريس محمد صالح، الشخصية المحورية التي تعرفنا على تفاصيل تركيبتها ومركباتها المتعددة الأبعاد في **الجزء الأول،** في كبد الحياة السودانية بجميع تضاريسها بما لها وعليها، وتتقاسم معه الدور يكاد يكن مناصفة هذه المرة شخصية سودانية وهي محجوب الجعلي التي تكشف وتكتشف وتجسد بحق وحقيقة في ذات الآن عمق الروابط التاريخية والثقافية والاجتماعية بين الشعبين في السودان وفي اريتريا. والى ذلك هناك ثمة عدة شخصيات أخرى مهمة في بنية الإنتاج الأدبي نذكر منها عمر يمني وحقوص ارعدوم ...الخ، تسلط الأضواء على بعض أركان الإنتاج منها إن الاختلاف الديني لا يشكل عائقا للانسجام الاجتماعي أو حائلا دون الاندماج الثقافي، بدليل انخراط حقوص ارعدوم المسيحي الارتري في مجتمع خشم القربة الميكروسكوبي السوداني الإسلامي، لدرجة " ...كان الكثيرون يعتقدون بان حقوص إذا رشح نفسه في

الانتخابات المحلية، فانه حتما سوف يفوز بها. " ويعكس ذلك عمق تقدير واحترام سكان القرية لدور حقوص ارعدوم النشط في تنمية المنطقة وخلق فرص عمل لأهلها. وأيا كان الأمر، فلا يمكن استخلاص حكم عام عن حدث استثنائي رغم أهميته وغور دلالته.

بعد فشلها في القبض على إدريس محمد صالح، صبت السلطات الأثيوبية الاستعمارية جم غضبها ومررتها على أخيه أحمد إدريس عبر أجهزتها القمعية، لا لجريمة ارتكبها، وإنما انتقاما من أخيه، وهذه هي الاستراتيجية الرعناء والعقيمة التي اعتمدتها الأنظمة الاستعمارية المتعاقبة في إريتريا. والمهم في الأمر إن إدريس لجأ إلى السودان، واستقر به المقام بمدينة كسلا، ولم يشعره سكانها بالغربة، بل تم احتضانه، ووجد المدينة وأهلها يشكلان امتدادا طبيعيا لمدن وقرى غرب اريتريا من حيث العادات والتقاليد والتركيبة السكانية، حيت تقطن قبائل البني عامر والحباب والبجا على طرفي الحدود، وان الحدود ذاتها تكاد تكون وهمية، ولا يعيرها أي اهتمام سكان المنطقة سواء من الجانب الارتري أو من الطرف السوداني. وزوجته فاطمة هي الأخرى لم تصادفها أي عقبة في التكيف والتعايش في كسلا، بدليل إنها لم تقم علاقات مع نساء القبائل السودانية . الارترية المتداخلة عبر المناطق الحدودية وحسب، بل نسجت صداقات قوية مع أبناء وبنات الجعلية والشاقية والدناقلة والنوبة, ويذهب الكاتب ابعد من هذا التداخل السكاني والتعايش الأخوي، منوها إلى أن المياه الارترية المتدفقة من سيتيت والقاش وبركا، تترقرق وتنساب لكي تصب وبسخاء في كسلا وطوكر وعطبره، غير عابئة بالقيود ومتجاوزة كل الحدود، حاملة ومحملة بروافد الحياة لأرض وأهل السودان .

ففي الوقت الذي كان إدريس يكد ويجد بحثا عن لقمة عيش لأسرته، فان هاجسه الأول والأخير تمركز حول أحوال وطنه السياسية وتطوراتها السريعة، وبات يلتقط الأخبار من هنا وهناك، وبما إن دول الجوار تتأثر بقدر ما تؤثر في بعضها البعض، شرع في شرح الأوضاع السياسية السائدة في إريتريا لمعشر السودانيين، متابعا في ذات الآن مجريات الأحداث في السودان، حيث عاش وعايش حيثيات الانقلاب العسكري الذي قاده الفريق إبراهيم عبود في عام 1958 ضد أول حكومة وطنية مدنية، إلى أن شرع في تضيق الخناق على الشعب السوداني، وغدت الحياة الاقتصادية تتدهور، وأصبح إدريس نفسه أحد ضحاياها. هذا على الصعيد السوداني الخالص، فإذا ما نظرنا إلى الأمور من المنظار الإريتري الصرف، فان نظام الفريق عبود وطد علاقاته مع النظام الإمبراطوري الإثيوبي وأعتمد سياسة مطاردة وملاحقة القوى الوطنية الإرترية في السودان، ولم يكتف بذلك الحد من العداء، وإنما أقدم على إلقاء القبض على مناضلين إرتريين وتسليمهم للنظام الأثيوبي، الذي لم يتردد قيد أنملة على تصفيتهم جسديا والتمثيل بجثامينهم لكي يكونوا عبرة لمن يخرج عن طاعة المستعمر الإثيوبي، ولكن هيهات، فالقد سفه الشعب الإرتري تلك الأحلام الإمبراطورية، وضرب بها عرض الحائط وبددها، وعزز من عملية الصمود والتصدي والتحدي، مقدما النفس والنفيس في سبيل حريته واستقلاله.

وبحكم وجوده في مدينة كسلا الحدودية، لم يكن عسيرا على إدريس أمر متابعة مجريات الأحداث السياسية في اريتريا عبر الأشخاص الوافدين من اريتريا من دون انقطاع وبوتيرة متسارعة تكاد تكون موازية لتصاعد عمليات الاضطرابات والحملات الأمنية العشوائية من جانب، ومن جانب آخر واكب أولا بأول عملية تأسيس حركة تحرير اريتريا في عام 1958 بالرغم من طابع السرية التامة التي

اتسمت به ، وعرف الخطوط العريضة لأهدافها السياسية ممثلة في " تحقيق الوحدة الوطنية، والعمل من اجل استقلال إريتريا، وإيجاد حكم وطني ديموقراطي ..." . كما تابع عن كثب وباهتمام وشغف ميلاد جبهة التحرير اريترية وبداية الكفاح المسلح في عام 1961 بقيادة حامد إدريس عواتي، علاوة على الصراعات غير المبررة بين الحركة والجبهة والتناقضات الداخلية لهذه الأخيرة, ولا غرابة إذا كانت روح إدريس المعنوية ترتفع وتهبط على ضوء الأخبار السارة أو المحزنة القادمة من الساحة الارترية أو الوافدة من بورت سودان.

ومع مرور الأيام غدت الحياة المعيشية لأسرة إدريس بكسلا لا تطاق، ومما زاد الطين بلة تدهور الأوضاع السياسية في السودان ولجوء نظام عبود الى اتخاذ المزيد من الإجراءات الأمنية بغية إحكام قبضته الحديدية عسى ولعلى ذلك يجهض ويخمد روح الانتفاضة الثورية التي كان يموج بها المجتمع السوداني حينذاك. هذه الظروف الخاصة والعامة أملت على إدريس أن يفكر مليا قبل اتخاذه في خاتمة المطاف قرار شد رحاله، وشروعه على إعداد هذه المرة رحلة العودة إلى وطنه مهما كانت التحديات الوجودية التي ستكون له بالمرصاد. وبينما هو يفكر ويعد لرحلة العودة إلى ارض الجذور، انبلج فجر انتفاضة أكتوبر 1964، مكتسحا وبسرعة البرق جميع الحواجز النفسية، ومبددا عبر أشعته الناصعة والساطعة، الظلام الدامس الذي خيم في ربوع السودان على مدى ست سنوات عجاف. وإذ ذاك بدأ النشاط السياسي يدب في الساحة السودانية بين مختلف الأحزاب السياسية اليسارية والليبرالية والطائفية، وأعلنت في سوادها الأعظم تضامنها مع نضال الشعب الارتري.

وهكذا ولج السودان مرحلة تاريخية جديدة، وأدرك إدريس بان ظهر الثورة الارترية بات محميا، وأضحت الساحة السودانية مقبلة على نشاط سياسي وتضامني مع كفاح شعبه، وان الحياة الاقتصادية في كسلا وسواها من المدن السودانية ستدب فيه روح الحياة والانتعاش، وبينما هو سعيد بما يدور حوله وبين أهل السودان من جراء المناخ السياسي الجديد الذي خلقته ثورة أكتوبر، علم بان الواقعة التي كان يخشى وقوعها بين رفاق السلاح والهدف والمصير قد وقعت كالصاعقة، والحرب الأهلية قد أنشبت مخالبها المسمومة والقاتلة على الثورة الارترية، وتحديدا في منطقة عيلا ظعدا حيث وقعت معركة عبثية في عام 1965 بين حركة تحرير اريتريا وجبهة تحرير اريتريا سقط ضحيتها خيرة من الثوار، وهكذا تغلغل فيروس سرطاني خبيث في جسد وروح وعقل القيادة الارترية في التنظيمين، ولم تنزل تلك ألازمة أو اللعنة من السماء، بحكم ان السماء لا تمطر ذهبا أو لعنة، إنما التفسير التاريخي الموضوعي للحرب الأهلية الارترية يكمن ضمن أسباب موضوعية أخرى، لا يتسع المقام هنا للتطرق إليها بصورة معمقة، إلى " الانطلاقة العرجاء " للحركة والجبهة بصورة متفاوتة، وهى عنوان الفصل الخامس والأخير من هذا الجزء من سلسلة الأجزاء السابقة واللاحقة للكاتب الأمين محمد سعيد.

مجمل هذه التطورات الإيجابية والسلبية على الساحة السودانية والإرترية أشاعت في نفس إدريس ومضة أمل بقدر ما غرست أيضا في قلبه وخزة ألم ، ولكن لا الأمل و لا الألم لم يثن إدريس محمد صالح عن قراره النهائي والقاضي بعودته إلى أرض وطنه مهما كان الثمن، وفي ذلك غير رسالة ظاهرية وباطنية من ناحية، و صورية وجوهرية من ناحية أخرى، أراد الكاتب إيصالها بصورة إيحائية نابضة وخلاقة.

تنبيه: لقد نشرنا على حلقات الكتاب الاول من سلسلة الكتب التي شرع في تأليفها الكاتب الامين محمد سعيد بعنوان " ارتريا أرض البحر" ولمن لم يقرأه يمكنه الحصول عليه في ارشيف كتب موقعنا. وابتداء من الاسبوع المقبل سنقوم بنشر الكتاب الثاني على حلقات أسبوعيا. ونتمنى لكم قراءة مفيدة وشيقة.